# أم عمارة

## رضي الله عنها

obeikandl.com

obeikandl.com

# أم عُمارة

**قال لي ولدي: ومَن التي بُشرت بالجنة أيضاً يا أبي؟**

**قلت**: إنها أم عُمارة يا بني، اسمها: نسيبة بنت كعب، من بني مازن بن النجار، وأمها الرباب بنت عبد الله من أنصار الخزرج، وزوجها زيد بن عاصم وقد أنجبت له ولدين هما: عبد الله وحبيب، وبعد وفاة زوجها زيد تزوجت غَزِية بن عمرو فولدت له: تميماً وخولة.

**قال: ومتى بدأت علاقتها بالإسلام يا أبي؟**

**قلت**: كان وفد من الأوس والخزرج قد قصد مكة في أحد المواسم التي تقام فيها، وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل والأفراد ليحدثهم عن الإسلام، ويعرض عليهم نصرته وتأييده، وحين التقى بوفد «يثرب» من الأوس والخزرج وحدثهم عن الدين الذي بعث به لينقل الناس من الظلمات إلى النور - بإذن ربهم - وجد رسول الله ﷺ لديهم أذناً صاغية، واستجابة مباشرة، فأعلنوا تصديقهم لدعوته، وإيمانهم بما جاء به، ووعده أن ينقلوا ما سمعوه منه إلى أهليهم وأصحابهم في المدينة المنورة بعد عودتهم إليها، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يرسل معهم من يعلمهم أحكام الإسلام، ويقرأ فيهم القرآن، ويفقههم في الدين.

obeikandl.com

واستجاب رسول الله ﷺ لمطلبهم، وأمر مصعب بن عمير بمرافقتهم إلى يثرب ليكون أول سفير للإسلام، وواعده على اللقاء به موسم الحج التالي مع من آمن من الأنصار في «العقبة» أيام التشريق، وبعد أن يرخي الظلام سدوله، حتى يكونوا في منأى عن رقابة قريش وعيونها.

ونزل مصعب في المدينة (يثرب) على أسعد بن زرارة أبي أمامة، وفتح أسعد منزله ليكون مقر الدعوة إلى الدين الحنيف، وبدأ أهل المدينة يَفدُون إليه، ويسمعون منه، ويتبعون ما جاء به كما أمره رسول الله ﷺ.

ولما اقترب موسم الحج، توجّه مصعب إلى مكة لموعده مع رسول الله ﷺ، وكان بصحبته ثلاثة وسبعون مؤمناً من أهل المدينة، وبرفقتهم امرأتان فقط هما: نسيبة بنت كعب المازنية (أم عمارة)، وأسماء بنت عمرو من نساء بني سلمة (أم منيع)، وفي المكان والزمان المحددين كان مصعب ووفد الأنصار، ينتظرون عند العقبة وصول رسول الله ﷺ.

ولم يلبث رسول الله ﷺ أن جاءهم يصحبه عمه العباس بن عبد المطلب الذي أراد من حضوره معه أن يستوثق لابن أخيه، ويتأكد من صدق الأنصار في نصرته، وموالاتهم له.

ثم اختار الأنصار لهم اثني عشر نقيباً، ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج، وتمت بيعة العقبة الثانية، وكانت أم عمارة أول من بايع رسول الله ﷺ من النساء الأنصاريات.

وعاد وفد الأنصار مع نقبائهم إلى المدينة، فرحين بما حملوه من نور الهداية بين جوانحهم، وبما عاهدوا عليه رسول

الله ﷺ من نصرة وتأييد وكانت أم عمارة في أوج السعادة والسرور.

**قال: وماذا كان من أمر أم عمارة بعد رجوعها إلى المدينة يا أبي؟**

**قلت**: كانت بيعة العقبة الثانية كما ترى أم عمارة هي المنطلق لأداء ما يترتب عليها من الواجبات.

ينبغي لها أن تنشر ما وصل إلى عملها من رسول الله ﷺ عن هذا الدين الذي تشرفت بالانتساب إليه بين أهلها وأقاربها وصواحبها، وامتد طموحها إلى مشاركة الرجال في جهادهم ضد أعداء الله والدين، وكانت البداية يوم غزوة «أُحُد».

كانت قريش قد لقيت على أيدي المسلمين أمرَّ هزيمة، وأعظم اندحار، وفقدت يوم «بدر» أعز رجالها، وأعظم زعمائها وقادتها وصفوة مقاتليها، وكان أقسى عليها من هزيمتها، عدم نقل قتلاها من ساحة بدر إلى مكة لتواريهم في مقابرها، فكان مستقرهم الأخير في قاع بئر «بدر» حين أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا فيها.

غير أن قريشاً لم تستسلم لتلك الكارثة التي أصابتها، فقررت الثأر لقتلاها، والانتقام، وكان الملتقى في «أُحُد».

شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الخروج إلى «أحد»، فأيّد أصحابه الخروج لا سيما من كان فاتهم الاشتراك في معركة «بدر» الغَرَّاء، وعارض المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول.

وكان «أُحُد» مطمحاً؛ لأم عمارة لتشارك في جهاد

المشركين، فخرجت مع رسول الله ﷺ بصحبة زوجها زيد بن عاصم وولديها عبد الله وحبيب لتداوي جرحى المسلمين، وتسقي العطاش منهم. وبدأت المعركة بعد أن أوعز رسول الله ﷺ إلى رماة المسلمين بالتربّص والثبات في قمة الجبل ليحموا ظهور إخوانهم، وكان سير المعركة في بدايتها يُظهر تفوقهم على المشركين، وبدأ جنود المشركين يلوذون بالفرار تاركين وراءهم أسلابهم، فلما رأى رماة المسلمين أسلاب أعدائهم تملأ أرض المعركة نادوا: الغنيمة الغنيمة، وغادروا المواقع التي أمرهم رسول الله ﷺ ألّا يبرحوها، ظناً منهم أن المشركين انهزموا بلا رجعة وعند ذلك التفَّ عليهم خالد بن الوليد قائد المشركين يومئذٍ بجنوده وأخذوا يُعملون سيوفهم فيهم، ودبَّت الفوضى في صفوف المسلمين وأخذ بعضهم يلتمس طريق الفرار، وأشاع أحد المشركين أن رسول الله ﷺ قد قتل فأسقط في يد الجنود المؤمنين، وهبّت أم عمارة تبحث عن رسول الله ﷺ وتسأل عنه مَن تراه، فأدركته، وقد كسرت رباعيته وجرحت شفّته وشج رأسه الشريف وسال الدم على وجهه الشريف، فقررت الدفاع عن رسول الله ﷺ مع زوجها وولديها حتى الموت، والتمست سيفاً وترساً، وجعلت من نفسها ترساً يحمي رسول الله ﷺ.

وتروي أم سعد بنت سعد بن الربيع نقيب الأنصار الذي استشهد يوم أحد ما فعلته أم عمارة في ذلك اليوم فتقول: دخلت عليها فقلت: حدثيني خبرك يوم «أحد»، فقالت: خرجت أول النهار إلى «أحد» وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول

الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال، وأذُبُ عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس، حتى خلصت إليَّ الجراح.

تقول أم سعد الأنصارية: فرأيت على عاتقها جرحاً له غَوْر أجوف فقلت: يا أم عمارة، من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.

ورأى رسول الله ﷺ ابن أم عمارة ويدعى: عبد الله بن زيد، وقد تلقى ضربة مشرك في عضده فجعل الدم لا يرقأ من جرحه فقال له رسول الله ﷺ: «**اعصب جرحك**»، فسمعت أم عمارة قوله، فأخرجت عصابات كانت معها، وعالجت الجرح، ثم قالت: انهض يا بني وقاتل القوم، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟**»، ومرَّ بها الرجل الذي ضرب ابنها فقال لها رسول الله ﷺ: «**هذا ضرب ابنك**»، فاعترضته وضربت ساقه فسقط، فابتسم رسول الله ﷺ، ثم أقبلت مع ابنها تضرب الرجل حتى قضيا عليه، فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي ظفَّرك، وأقرَّ عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينيك**».

ويروي عبد الله بن زيد بن عاصم فيقول: شهدت «أحداً» مع رسول الله ﷺ، فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا وأمي نذبُّ عنه ـ ندافع ـ فقال: «**ابن أم عمارة؟**» قلت: نعم، قال: «**ارم**»، فرميت بين يدي رسول الله ﷺ رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرسه فأُصيبت عين الفرس، فاضطرب حتى وقع

هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة، حتى نَضَّدت عليه وِقراً ـ أي: أصبح فوقه حمل من الحجارة ـ والنبي ﷺ ينظر ويبتسم، ونظر جرح أمي على عاتقها، فقال: «**أمك أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت**»، وقالت أم عمارة:

يا رسول الله ﷺ، ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال ﷺ: «**اللَّهم اجعلهم رفاقي في الجنة**». فتهلَّل وجه أم عمارة وغمرتها السعادة والفرحة وانفرجت شفتاها لتقول: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

حقاً يا أم عمارة، كل جرح يهون، وكل ألم يسير، إذا كان المنتهى إلى الجنة؛ لأنه ليس فيها نَصَبٌ ولا عناء، ولا تعب ولا شقاء بل راحة وهناء، ونعيم ما له انقضاء.

وفقد المسلمون في «أحد» أعز الشهداء كحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وسعد بن الربيع، وأنس بن النضر وحنظلة بن أبي عامر ـ غسيل الملائكة ـ.

وعادت أم عمارة إلى بيتها لتداوي جراحها الثلاثة عشر التي أصابتها في سبيل الله، وانقضت سنة كاملة دون أن تشفى.

وحين أعلن رسول الله ﷺ عن التوجه إلى «حمراء الأسد» شدت أم عمارة عليها ثيابها لمرافقته غير أن نزيف جراحها الذي لم ينقطع منعها من ذلك، ولما عاد رسول الله ﷺ وأصحابه من «حمراء الأسد» أرسل إليها من يزورها ليطمئنه عن حالتها، وبعد

أن أخبره أنها بخير سُرَّ لذلك أيَّما سرور وغمرته البهجة.

واختار رسول الله ﷺ ابنها حبيب بن زيد ورجلاً آخر ليحملا رسالته إلى كذاب اليمامة مسيلمة.

ولما دخلا عليه أخذ منهما رسالة رسول الله ﷺ، وبعد أن قرأها تغيّر لونه، وتبدَّلت سحنته، فأمر بتقييدهما وإحكام وثاقهما، ثم التفت إلى حبيب وسأله:

أتشهد أن محمداً رسول الله ﷺ؟ فأجابه حبيب: نعم، أشهد أنه رسول الله حقاً وصدقاً، فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال حبيب: لا أسمع ما تقول، وفي أذنيَّ صممٌ عما تدّعيه.

وأعاد الآثم المفتري مسيلمة على حبيب القول فلم يجد لديه جواباً آخر غير الذي قاله آنفاً. فأوعز مسيلمة إلى جلاده بتقطيع يديه ثم رجليه وأجزاء من لحمه حتى فاضت روحه إلى بارئها مصرة على النطق بشهادة التوحيد، ثم التفت إلى صاحبه وسأله أتشهد أني رسول الله؟ ومن شدة فزعه والهول الذي أصابه مما رأى ما حَلَّ بصاحبه أمام عينيه، قال: نعم، أشهد، قالها بلسانه مكرهاً ولم يكن مطمئناً بها قلبه، فالقلب الذي ملأه الإيمان، وترسَّخ فيه لا يقر بالكفر ولا يركن إليه. وصعقت أم عمارة لتلك الميتة البشعة التي لقيها ابنها، ولم تجد إلا أن تسترجع وتحتسبه عند الله، وحَسْبُها أن ميتته كانت في سبيل الله.

ولكنها عاهدت ربها أَلَّا تغتسل حتى ترى قاتل ابنها الأثيم في عداد الأموات.

ولما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حزنت عليه أم عمارة أشد الحزن، وبكته أحر البكاء، ولكنها استسلمت لمشيئة الله، ورضيت بقضائه، وكان مبعث حزنها يرجع إلى حرمانها من الزيارات التي كان رسول الله ﷺ يخصها بها بين حين وآخر ليطمئن على حالها.

غير أن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، تابع ما كان يفعله رسول الله ﷺ، وكان يزورها كلما وجد لذلك سبيلاً.

وشهدت خلافةُ الصدِّيق ارتداد عدد من المسلمين عن الدين، وامتناع بعضهم عن دفع الزكاة إلى مستحقيها، فقرر التصدي لهؤلاء المرتدين بكل حزم وقوة، وأخذ يجهز الجيوش، ويوجهها لقمعهم واستئصالهم وقطع دابرهم، ووجدت أم عمارة الفرصة أمامها سانحة لتنتقم لابنها حبيب وتشفي غليلها بالقضاء على قاتله مسيلمة، فقررت الخروج مع الجيش المتوجه إلى اليمامة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، بصحبة ابنها عبد الله وطلبت من الصديق أن يأذن لها بالمشاركة في تلك المعركة، فلم يبخل عليها بالإذن، وتوجّه إلى منزلها ليودعها، ويبارك خروجها، ولئن دلَّ فعل الصديق على شيء فإنه يدل على ما كانت تتمتع به أم عمارة من رفيع المنزلة وعلو القدر لديه تأسياً بصاحبه ﷺ.

كانت معركة «اليمامة» إحدى أهم المعارك التي خاضها المسلمون، ضد أعداء الله، وضمّ جيش خالد حشداً هاماً من الصحابة الكرام أمثال: البراء بن مالك وأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة، وثابت بن قيس، وزيد بن الخطاب وعبد الله بن عمر، وأبي دجانة الفارس المعلم يوم أُحُد.

وكان عدو الله مسيلمة قد أخذ لتلك المعركة أهبتها، وأعدّ لها جيشاً كبيراً وزوّده بالعتاد والعدة اللازمين.

ودارت رحى المعركة، واستعر القتال، وحمي وطيسه، وسقط عدد من كبار صحابة رسول الله ﷺ شهداء، وتزعزعت صفوف المسلمين، وأخذ بعضهم يفر، وبعضهم ينادي بالصمود لقطع دابر الكافرين والمرتدين، وبدأت البطولات تتجلى، هذا ثابت بن قيس يحفر لنفسه حفرة وينزل فيها إلى أنصاف ساقيه حتى لا تحدِّثه نفسه بالفرار، ويظل يجاهد أعداء الله حتى سقط شهيداً.

أما ما فعله البراء بن مالك فكان قمة الفداء، فحين رأى مسيلمة وأصحابه يفرون إلى حديقة سموها: حديقة الموت، ويغلقون بابها من ورائهم، نادى على أصحابه وأمرهم أن يتبعوه حتى إذا اقتربوا من سور الحديقة سألهم أن يضجعوه على تروسهم، ثم يقذفوه بقوة من فوق السور، حتى إذا وجد نفسه داخلها، وقف يقاتل دون الباب حتى فتحه لإخوانه المسلمين بعد أن أثخنته الجراح. وكان يسقط شهيداً، ولكن لم يحن الأوان.

واستبسلت أم عمارة وابنها عبد الله في القتال، ونالت منها سيوف الأعداء فأصابتها بعدة جراحات، ثم جاءتها ضربة قوية بترت يدها وفصلتها عن جسدها، ولكن لم تأبه لذلك، لا سيما حين علمت أن ابنها عبد الله حقق لها أمنيتها، وروَّى سيفه من دم مسيلمة، وقتله شر قتلة، ويقول وحشي الذي قتل حمزة يوم أحد: لقد أرسلت حربتي إلى حيث يقف مسيلمة، فلما وصلت إليه كان فتى من الأنصار قد ضربه بسيفه، ولا يدري

أحد أيّنا قتله إلا الله.

فهنيئاً لك يا أم عمارة، وهنيئاً لأهل بيتك، وبوركت لكم دعوة رسول الله ﷺ: «**اللَّهم اجعلهم رفقائي في الجنة**»، ولنعم دار المتقين.

obeikandl.com